الوحدة الإسلامية مقصد عقدي في القرآن والسنة

أ–د/ أحمد محمد عبدالرحمن رحومة – أستاذ في قسم أصول الدين – كلية العلوم الشرعية / مسلاته – الجامعة الأسمرية الإسلامية

مقدمة،،،

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على النبي الأمين سيدنا محمد وعلى أله وصحبه أجمعين وبعد .

فالمتأمل في القرآن الكريم يجد في كثير من آياته الدعوة إلى الوحدة والتزام الصف الواحد وجعل هذه الوحدة شعاراً للأمة الإسلامية ، وأول ما يطالعنا من الآيات القرآنية التي كانت أساساً للوحدة والتي اتخذ منها الشعار العام للشخصية الإسلامية المتحدة ، ما حكاه الله عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في قوله – تعالى– ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ﴾[1]، دعوا لأنفسها بالإسلام لله تعالى والإخلاص له ، وأن تكون ذريتهما أمة مسلمة لله تعالى ، يدفعهم إلى العمل الإيمان بالله ويتوج حياتهم العملية التعاون والوحدة في سبيل الله ، وبذلك كانت الوحدة في الإيمان والعمل ، أساساً وشعاراً للأمة في نظر الإسلام منذ أن وضعت اللبنة الأولى في بنائه على عهد إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام، ومما يؤكد أن الإسلام يرفع شعار الوحدة أن الله تعالى بعث رسوله محمداً – صلى الله عليه وسلم – بهذا الدين للناس أجمعين ولم يخص به جنساً دون جنس أو طبقة من الناس دون طبقة ، وأخذ يغرس في نفوس الناس معاني الوحدة فكلهم خَلقُ الله وكلهم أولاد آدم ، قال – تعالى – في محكم آياته : ﴿ هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾[2]، وقال أيضاً : ﴿ يا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آياتِي فَمَنِ اتَّقى وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[3] وقال – سبحانه – : ﴿ يَابَنِى آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ ﴾ [4] .

(1) البقرة ، 128 .
(2) النساء ، 1 .
(3) الأعراف ، 35 .
(4) الأعراف ، 27 .

وقد وردت أحاديث كثيرة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – بينت أن الإسلام قد نَحَّىَ عن اتباعه عصبيات الجنسية والإقليمية التي درج العرف البشري على اتخاذها أساساً للجماعات وسمواً بالإنسانية عن هذه الاعتبارات التي كثيراً ما تدفع أصحابها إلى التفرق والخصام وتنتشر بينهم العداوة والبغضاء لتقطع عرى الإنسانية الفاضلة ، وتقضي على روح التعاون والتراحم ، فمن ذلك ما روي عن حذيفة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : ((كلكم بنوا آدم وآدم خلق من تراب ولينتهين قوم يفخرون بآبائهم أو يكونن أهون على الله تعالى من الجعلان [1][2] .

وقال- صلى الله عليه وسلم – في حديث آخر : ((المسلمون إخوة لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى))[3]

وقال – صلى الله عليه وسلم – : ((يأيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد لا فضل لعربي على أعجمي ولا أعجمي على عربي ، ولا أحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ألا هل بلغت فليبلغ الشاهد الغائب))[4] .

فمن هنا يتضح لنا أن القرآن الكريم والسنة النبوية يدعوان المسلمين إلى الوحدة ونبذ الفرقة ويجعلان التفاضل بالتقوى والعمل الصالح لا للجنس واللون والعنصر والحسب ، فكل هذه الأمور تذوب عندما تتوحد الأمة وتتفق حول رأي واحد ، فإنه مما تتميز به هذه الأمة دون سائر الأمم أن ربها واحد وهو الرحمن ، وأن نبيها واحد وهو محمد – صلى الله عليه وسلم – وأن كتابها واحد ، وهو القرآن الكريم ، وقبلتها واحدة وهي الكعبة المشرفة .

إذا فإن وحدة الأمة الإسلامية في عقيدتها وثقافتها وحضارتها ليس مجرد فكرة أو نظرة يتداولها الكتاب والمفكرون بالإثبات او النفي ، قبولاً أو رداً ، بل هي قدرُ الأمة وعتاد حضارتها ، وباعث أمجادها ، بل جوهر وجودها وسرُّ بقائها لا يعاند في ذلك إلا جاحد أو مكابر.

---

(1) الجعلان : جمع مفرده جعل على وزن عمر وهو الحرباء .

(2) أخرجه الترمذي في سننه كتاب المناقب باب في فضل الشام واليمن ، ح رقم 3955، وقال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب وأخرجه البزار في مسنده ج 7 ، ص340 .

(3) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير عن حبيب بن خراش، ج 4، ص25، وقال الهيثمي في المجمع في إسناده عبدالرحمن بن عمرو وهو متروك.

(4) رواه البيهقي عن جابر، وقال الحافظ في أول كتاب المناقب ح6، ص609 ، رواه أحمد والحارث ، وابن أبي حاتم من طريق أبي نضرة ، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب ج3، ص375 ، ح رقم 4494 .

أسباب اختيار الموضوع :

إن قيمة هذا الموضوع ومظاهر الجدة فيه والدواعي التي دفعت بالباحث للكتابة فيه واختياره دون غيره من الموضعات هو ما تعانيه الأمة الإسلامية اليوم من تحديات تعصف بكيانها ، فإذا كانت أمة الإسلام واجهت تحديات الوثنية في جزيرة العرب وانتصر الإسلام وانهزمت الوثنية ، وواجهت تحديات يهودية من بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريضة، وانتصر الإسلام وانهزمت اليهودية ، وواجهت تحديات صليبية في اليرموك وحطين ، فانتصر الإسلام وانهزمت الصليبية ، فما هي الأسباب التي أخذ بها المسلمون يومها ؟، حتى انهزمت أمامهم كل التحديات ؟، وهل يمكن الأخذ بها اليوم ؟ وإذا كان الأمر كذلك فمن أين نبدأ ؟ ولا نشك في أن من أول الأسباب التي مكنتهم من ذلك هي الوحدة وحدة المسلمين التي تكمن فيها عزتهم ، هذه الوحدة التي نراها اليوم متفككة وتتفكك عرها يوما بعد يوم ، فماهي أسباب ذلك ؟ وما هي أسباب تقويتها وعودتها التي بها تعود الأمة إلى مجدها وتبني مستقبلها ؟، كل هذه الأسباب جعلتني أهتم بهذا الموضوع ، الذي

يهدف إلى استشعار الأمة بأن وحدتها مقصد من أولى المقاصد الشرعية التي ينبغي أن لا نغفل عنه ، وهو حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال ، وهذا المقصد متعلق بجميعها ، إذ لا يتصور بقاء دين ولا نفس ... ولا مال دون التمسك بالوحدة وقيامها ، فكيف لا يكون له أولوية وهذا شأنه ، ولهذا اعتمدت في تأسيس هذا البحث على بيان مصادر الأحكام وأدلتها ومعرفة حجية الأدلة ومراتبها .

الدراسات السابقة حول الموضوع :

هناك جهود كبيرة من قبل العلماء والمهتمين بتناول هذه الإشكالية وهي قيام الأمة الإسلامية الواحدة باعتبارها مصدر عقدي بمالها وما عليها ، إلا أن المراد بالبحث والذي يعد محاولة سابقة فيه وهي أدوات التناول في المعالجة بطريقة عصرية ، مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

اشكالية البحث :–

لقد شغلت قضية الوحدة الإسلامية اهتمام المفكرين والمصلحين منذ جمال الدين الأفغاني حتى الآن ، لأن هذا العالم قد عاش قرونا طويلة في الظلام ، وطال تخلفه وانعزاله ، وكان من الطبيعي أن تشغل هذه القضية اهتمام المفكرين والمصلحين فيه ، الذين تناولوا هذه الإشكالية بالعديد من التشخيصات والتحليلات من زوايا مختلفة .

فالإشكالية في نظر الباحث هي دراسة الوقائع وتفحص الأحداث التاريخية ، وتحليل المشكلات بمنهج علمي وأسلوب رصين .

لقد كان الأطباء يقفون عند الأعراض ، ولم ينتبهوا إلى حقيقة المرض وأسبابه ، ومن هنا أصبح كل دواء عقيم ، والسبب في ذلك –كما يرى مالك بن نبي [1] – أن مقياس الحضارة قد انقلب رأساً على عقب ، إذ أن المقياس العام في الحضارة هو أن الحضارة هي التي تلد منتجاتها لا العكس [2].

ولهذا يرى الباحث أن الاتجاه الصحيح لخروج العالم الإسلامي من تشرذمه وانفصاله، هو الاتجاه نحو بناء الحضارة وفقاً لشروطها ، وذلك يقتضي وعياً كاملاً بالتاريخ باعتباره عملية اجتماعية محددة الأسباب والنتائج مرتبطة بمصير الإنسان وفهماً للسنن النفسية والاجتماعية إذ يقول المولى جل وعلا :- ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[3] .

منهج البحث المناسب :-

اتبع الباحث لدراسة هذه الإشكالية عدة مناهج أساسية لطبيعة البحث وبخاصة المنهج التاريخي النقلي والمنهج الوضعي ، والمنهج المقارن ، والمنهج التجريبي ، وهي جميعا تتعاون فيما بينها في مراحل العملية البحثية من خلال جمع مادة هذا البحث ووفق طبيعة الموضوع المدروس .

هيكل البحث ((تصميم البحث))

وقد قسمت هذا الموضوع إلى مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة تتضمن أهم النتائج والتوصيات وثبت للمصادر والمراجع .

أما المقدمة، فقد اشتملت على أهمية الموضوع ، وسبب اختياره ، والدراسات السابقة ، والمنهج المتبع ، وكانت المباحث على النحو الآتي :-

1- المبحث الأول : مفهوم الأمة الإسلامية وخطر ذوبانها بين الأمم .

2- المبحث الثاني : الوحدة الإسلامية مقصد عقدي .

3- المبحث الثالث : بناء أوصار الوحدة من خلال هدى النبي – صلى الله عليه وسلم –

4- المبحث الرابع : إلغاؤه صلى الله عليه وسلم التمايز بين أفراد الأمة لنبذ الفرقة بينهم .

5- الخاتمة وتتضمن النتائج والتوصيات وثبت للمصادر والمراجع .

(1) شروط النهضة لمالك بن نبي ، ص55 .

(2) حديث في البناء الجديد لمالك بن نبي ، ص121 .

(3) الأنفال : 64 .

تمهيد

فالمتتبع لحال الأمة الإسلامية منذ عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى عصرنا الحاضر يجد أن الأمة الإسلامية مرت بمرحلتين :

المرحلة الأولى :

مرحلة ازدهار واستقرار وفتوحات وامتداد وقوة ونشر للإسلام ، استمرت هذه المرحلة ثمانية قرون منذ عصر النبوة والخلافة الراشدة امتدادا بالدولة الأموية والعباسية والفاطمية ثم بقيت بحكم الاستمرار محتفظة بقوتها عدة قرون أخرى حتى نهاية الدولة الإسلامية في الأندلس ، وهذه المرحلة امتدت نحو ثمانية قرون (1هـ إلى 885هـ 1492م) وخلال هذه المرحلة كانت الأمة الإسلامية أكثر بلاد العالم حضارة ورقيا وتقدما وعمراناً ، فالمدن زاهرة والجامعات العلمية منتظمة ، والعلوم الدينية واللغوية والطبيعية والرياضية مزدهرة ، كان هذا هو حال العالم الإسلامي في خلال هذه الفترة ، وذلك رغم ما كان من ردة أحيانا ، وبرغم الخلافات التي انتشرت في أنحاء العالم الإسلامي أحيانا أخرى ، برغم هذا كله فقد ظلت الأمة الإسلامية متماسكة متقدمة خلال هذه القرون.

المرحلة الثانية :–

مرحلة معاناة ودفاع وتبعية وعدم استقرار وخسارة وضعف وجمود ، وقد امتدت هذه المرحلة منذ خروج المسلمين من الأندلس وسقوط الخلافة الإسلامية حتى عصرنا الحاضر ، وبعد هذه المرحلة فقدت الأمة الإسلامية أصالتها وذاتيتها بفقدان وحدتها ، حيث ضعف فيها الجانب العلمي بوجه عام وعلوم الشريعة بوجه خاص كتقعيد القواعد وتأصيل الفقه مما أدى إلى فقدان الإبداع وإغفال العلوم التجريبية وركود الحركة الاقتصادية والاهتمام بالجزيئات والفرعيات بدلا من الاهتمام بأهداف الإسلام ومقاصده ، وأخطر ما يحدث في العالم الإسلامي اليوم بجانب الغزو الفكري ، عودة الغزو العسكري إلى العالم الإسلامي الذي يستخدم الأن في بعض المرافق التي لا يجدي معها الغزو الاقتصادي أو السياسي أو الفكري من تفريق لوحدتهم وتمزيق لكيانهم فبثت المنازعات واستمرت الخلافات في معظم البلدان الإسلامية داخلياً وخارجياً كما نرى ونسمع ، فالمستعمرون ركزوا جهودهم لتشويه صورة الأمة الإسلامية وطمس التاريخ الإسلامي بصفة خاصة وعدم الوقوف مليئا على النصوص القطعية في اثبات وحدة الأمة كمقصد من مقاصد العقيدة والشريعة هو أحد هذه التحديات التي تعصف بالأمة في عصرنا الحاضر سواء أكانت داخلية أم خارجية قال – تعالى–: ﴿ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُم أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُمْ مِّنْهَا كَذالِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [1] .

(1) ال عمران ،103 .

المبحث الأول :– مفهوم الأمة الإسلامية وخطر ذوبانها بين الأمم .

وردت كلمة ((أمة)) في أربعين موضعا في كتاب الله بمعنى الجماعة من الناس ، منها : قوله – تعالى – :﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾[1] .

وجاءت في موضعين بمعنى((الحين)) منها قوله – تعالى –: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾[2]

وفي قوله – تعالى – : ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ [3] .

وجاءت في موضعين بمعنى ((الدين)) ومنها ، قوله – تعالى– : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ ﴾[4]

وجاءت بمعنى القدوة ، من ذلك قوله – تعالى – : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا ﴾[5] بمعنى قدوة ومُعَلم للخير ، لأنهم يقولون للرجل العالم ((أمة))، وسمي أمة ، لأن قوام الأمة كان به [6] ، هذا بالمعنى العام لمفهوم الأمة ، أما بالمعنى الخاص للأمة الإسلامية .

فمن ذلك قوله – تعالى– : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها ﴾ [7] .

وقوله – تعالى – : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[8] .

ومن أجل بناء الأمة الإسلامية دعا الإسلام إلى توحيد مصدر العبادة [9] والمخصوص بالعبادة ؛ لأن توحيد المعبود يقتضي توحيد العقيدة ، ووحدة العقيدة تحدد وحدة الأمة وأهدافها ، ووحدة الأهداف

(1) البقرة : 128 .
(2) هود : 8 .
(3) يوسف : 45 .
(4) الزخرف : 22 .
(5) النحل : 120 .
(6) معجم ألفاظ القرآن الكريم ، ج1 ، ص4 .
(7) آل عمران : 103 .
(8) النور : 55 .
(9) ينظر : العقد الحضاري في شريعة القرآن : د – الهادي الدرقاش ص21.

تمتن الروابط والصلة ، وإذا امتتنت الروابط صلح العمل واستقامت سبله ووضحت معالمه ، ومن هنا كانت ((لا إله إلا الله)) هي الشعلة التي أيقظت الفكر العربي من سباته ، فغدا مكونا للأمة التي عرّفتها الوثيقة التي أمر بكتْبِها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في المدينة المنورة مع يهود المدينة وهي مؤلفة من نيف ومئة مادة ، سميت فيما بعد لدى الدارسين في السيرة العطرة بالدستور ، ونص هذا الوثيقة ، ((المسلمون ومن معهم ومن وراءهم من أعراب المدينة أمة واحدة من دون سائر الناس))[1] .

وتأسيسا على هذا التعريف ، فالأمة الإسلامية هي مجموعة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها تشتمل على كل من أسلم ودخل في دين الله طواعية واذعانا وشهد الشهادتين ولم يصدر منه ما يدل على الردة والكفر ، وأهم أنواع الردة عدم الإيمان بختم النبوة [2] ، قال – تعالى – : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [3] .

معالم الأمة العقدية عموما .

المعالم العامة

1- الإيمان بالله تعالى على الوجه الذي جاء في الكتاب والسنة المطهرة بلا تشبيه ولا تعطيل توحيدا وتنزيهاً كاملين .

2- الإيمان بالنبوات والرسالات السماوية وبرسالة سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم الخاتمة ، وعلى أنها شريعة ناسخة للشرائع كلها ، ولا تنسخها شريعة مطلقاً إلى يوم الدين .

3- الإيمان بالملائكة وبالغيب الذي جاء به الكتاب والسنة على الوجه الذي ورد .

4- الإيمان باليوم الآخر على الوجه الذي جاء في النصوص الإسلامية من كتاب الله وسنة نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – .

5- موالاة من أمر الله بموالاتهم عموما .

6- الجهاد في سبيل الله قائم إلى يوم القيامة ضد الحربيين من الكفار حتى يخضعوا لحكم الله ورسوله .

(1) السيرة النبوية لإبن كثير ص285 .

(2) ينظر : حقائق عن الفكر الإسلامي ، د- محمد عبداللطيف الفرفور ، ص 16,15 .

(3) الأحزاب : 40 .

7- إقامة الحاكمية لله – عز وجل – في الأرض على الوجه الذي ارتضاه لنا سبحانه في كتابه وسنة نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – [1].

– هُوية الأمة الإسلامية اعتقادا وثقافة .

– تأصيل الهوية الواحدة للأمة الإسلامية اعتقادا ، فالعقيدة هي أساس بناء المجتمعات، فإذا كانت سليمة انضبط المجتمع وارتقى في الكمال الإنساني ، وإن كانت غير ذلك تفكك المجتمع وانحط إلى الحضيض .

إن عقيدة هذه الأمة واحدة ، ويجب أن تبقى واحدة دون أن تتدخل فيها الأهواء ، وذلك لأن العقيدة هي الأساس الذي تنبني عليه الأمة في وجودها وبقائها ، في قيامها وبنائها ، في شموخها وعليائها .

ولقد كان الرسول والذين معه من الصحابة الميامين في عهد التنزيل على عقيدة واحدة وضعها الله لهم وبلغها رسول الله – صلوات الله عليه وعلى أله وصحبه – فلم تكن هناك فِرَقٌ ومذاهب وخلاف ، ولم يدور بخلد هذه الصفوة من الخلق أن الأهواء ستقتحم وحدتهم وتشتت شمائلها ، وتمزق وجودها وكيانها ، بل وتقتلع هذا الوجود والكيان من جذوره ، وبذلك كانت الأمة مبنية على أحسن نظام[2]، وهي القواعد والمبادئ التي جاء بها الإسلام لتحديد النشاط البشري على مستوى الأفراد والجماعات، وجميع هذه القواعد تشكل النظام الإسلامي العام الذي من خصائصه ربانية المصدر[3] ، ولما أن جهل المسلمون ذلك صاروا ثلاثا وسبعين فرقة بعد أن كانوا وحدة واحدة ، وكل هذه الفرق تدعي أنها الناجية ؟ والذي جاء بذلك كله إنما هو ربط الإسلام بالأشخاص الذين تفاعلوا معه بصوابهم وبخطئهم ، وهم ليسوا حجة على الإسلام ، بل الإسلام حجة عليهم .

– تأصيل الهُوية الثقافية للأمة الإسلامية .

الهُوية الثقافية للأمة الإسلامية يجب أن تكون كما كانت في عهد التنزيل هُوية ثقافية واحدة ، مصدرها الوحي الإلهي ((القرآن الكريم)) والسنة النبوية الصحيحة ، فالثقافة والفكر يجب أن يكون مصدرهما

(1) ينظر حقائق عن الفكر الإسلامي ، ص16 .

(2) ينظر حقائق عن الفكر الإسلامي ، ص31 .

– النظام مصدر الفعل نظم ويجمع نظام على نظم وأنظمة وأناظيم ، ومادة نظم ومشتقاتها تفيد معنى الجمع والتأليف وضم الأشياء إلى بعضها في ترابط وترتيب وتنسيق واستقامة وأن يتعلق بذلك، أنظر لسان العرب والقاموس المحيط ومعجم مقاييس اللغة ، ((مادة نظم)) .

(3) – النظم والثقافة الإسلامية ، د– محمد طلعت أبوصيرة ومن معه ص7، سمات الثقافة الإسلامية ، د– عمر عودة ، ص8.

الإسلام الحنيف بقواعده العامة وأصوله الشرعية فقط دون غيره ، وهو جزء مما يسمى بالعلوم الإنسانية اليوم .

وأما العلوم المادية ((التجريبية)) فليست حكرا على أمة دون أمة ، بل هي ملك للأمم جمعاء، وهي كانت لدى أجدادنا المسلمين في أعظم وأزهى عصورها ازدهاراً ، ونحن اليوم بحاجة إلى استرداد ميراثنا من الأمم والشعوب الأخرى ، وليس في ذلك حرج أو عيب أو بدعة ، فكل الأمم يأخذ بعضها من بعض هذه العلوم والفنون .

وأما القواعد الفكرية والثقافية للأمة الإسلامية فمنبعها الإسلام بنصوصه وشروحه وبمفاهيمه هو وحده المهيمن عليها دون سواه .

– خطر ذوبان الأمة الإسلامية في الأمم الأخرى وعلاجه .

1– الاهتمام بدراسة الروح الجماعية ، وضرورة تقويتها في الأمة الإسلامية ،وذلك عن طريق التربية التي تقوم على القيم الإسلامية، وفلسفة التربية غاية في الأهمية، حيث يلاحظ أن السبب في فقر البلاد هو عدم سريان روح التربية الشرعية العقلية التي تجعل إحساس الإنسان بمنافع أمته كإحساسه بمنافع نفسه ، وشعوره بأضرار وطنه كشعوره بأضرار ذاته، ولم ير علة لضعف الأمة وسبب زوالها في غير فتور النفوس وسوء توجيه العقول وذلك بسبب سيطرة الأنانية وانعدام معنى الجماعة في نفوس الأفراد وبخاصة التصور في التعليم الديني الصحيح ، وذلك إما بإهماله جملة كما في بعض البلاد ، وإما بالسلوك الديني من غير طرقه القويمة ،كما هو الحال الآن ((الغلو والتطرف)) ، ولذلك لابد من اصلاح التعليم الديني بما يقوي العقيدة ويهذب النفوس ، على أن تنبع المناهج التعليمية من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة وما صح عن السلف الصالح ،كما أن معرفة العلل هي الطريق لعلاج الداء ، لذا فإنه لابد من تشخيص دقيق وتعيين الدواء المناسب ، حتى يتسنى للمريض أن يتغلب على الداء ، ويسترد صحته[1]، ومن هنا يرى المفكر مالك بن نبي أن الاتجاه الصحيح لخروج العالم الإسلامي من أزمته ومن هذا التشرذم و الذوبان : هو الاتجاه نحو بناء الحضارة وفقاً لشروطها ، وذلك يقتضي وعياً كاملاً بالتاريخ باعتباره عملية اجتماعية محددة الأسباب والنتائج مرتبطة بمصير الإنسان [2] .

(1) عبدالرحمن الكواكبي ، العقاد ص177 وما بعدها .

(2) حديث في البناء الجديد ،مالك بن نبي ، ص121 .

2- الإعداد الاستراتيجي وهو وضع الاختيارات لمساعدة الأمة الإسلامية على أن تركز نظرتها وأولوياتها في الاستجابة للتغيرات الحادثة في العالم ، وأن يضمن أن أفراد الأمة يعملون باتجاه تحقيق أهدافهم ، وهي اضفاء صفة النظرة طويلة الأمد والشمول عند التخطيط ، ويعتبر التحليل الاستراتيجي الرباعي من أهم الأساليب التي تستخدم للقياس وهي :-

1. عناصر القوة .
2. نقاط الضعف .
3. الفرص المتاحة .
4. التهديدات .

حيث يهدف إلى تحليل البيئة الداخلية للأمة من خلال تحديد مواطن القوة والضعف في البيئة الداخلية ، وتحديد التهديدات والفرص المتاحة من جهة أخرى في البيئة الخارجية .

إن إعادة بناء الأمة الواحدة لن يكون بتلقين بعض العناصر وتقليد بعض الأشكال، وإنما يكون عن طريق مُرَكَب يقوم عن الاستفادة من الإنسان ، والتراب ، والوقت ، بفضل عقيدة توقظ الإنسان وتبعث فيه الفاعلية والحركة وفق شروط نفسية واجتماعية معينة كما يقول المفكر مالك بن نبي [1] ،بل الواجب أن لا تنتظر الأمة حتى تتهيأ هذه الشروط ، بل أن تعمل على إعدادها بطريق إيجابية ؛ لأن التغيير يجب أن يبدأ من الداخل وفقاً للمبدأ القرآني الخالد ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[2] ، هذا القانون الذي ينبه إلى ضرورة تفهم السنة الكونية وفطرة الإنسان ، وإدراك الواقع حتى تكون الوحدة حقيقة، والحضارة مبنية على أسس سليمة ، فلا خلاص لهذه الأمة من الذوبان إلا بنوع من التفكير تتاح له فرصة فهم واقعه ومحيطه والتيارات التي تتدافع من حوله ، وليعطيه فاعلية وقدرة على تخطي الواقع الأليم إلى أفاق النهضة .

إن المرحلة التي تمر بها الأمة هي مرحلة مرضية تحتاج إلى دراسة نوع المرض ((والأمراض الاجتماعية تنتقل من جيل إلى الجيل الذي يليه ، وجراثيمها لا يمكن أن تكون غير ضرب من الأفكار، فإذا تسنى لنا تخليص العالم الإسلامي من هذه الأفكار استطعنا أن نضعه في مكانه اللائق من التاريخ))[3]، إذ بذلك تولد الأمة الإسلامية الموحدة ويزول خطر ذوبان الأمة في غيرها من الأمم .

(1) حديث في البناء الجديد ، ص101 .
(2) الرعد ، 11 .
(3) حديث في البناء الجديد ، ص121 .

المبحث الثاني : الوحدة الإسلامية مقصد عقدي .

مفهوم الوحدة في الإسلام .

إذا نظرنا في القرآن الكريم وفي السنة النبوية المشرفة لوجدنا أنهما ما حرصا على شئ بعد التوحيد أكثر من حرصهما على تأكيد وحدة الأمة ، قال – تعالى – : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾[1] وقال – تعالى –: ﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ ﴾[2] ، فإذا كانت الآية الأولى قد قررت وحدة الأمة ولا شئ غير ذلك، فإن الآية الأخرى قد أمرت بالوحدة كذلك ، وفي السنة وردت أحاديث كثيرة عنه – صلى الله عليه وسلم – ومواقف متعددة دعا فيها المسلمين إلى التوحيد ونبذ الاختلاف ، وكل ما من شأنه أن يؤدي إلى الفرقة ، ومن ذلك قوله – صلى الله عليه وسلم – : (أيها الناس عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة)[3] .

وقال – صلى الله عليه وسلم – (إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويسخط لكم ثلاثاً ، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ، ويسخط لكم القيل والقال وكثرة السؤال وإضاعة المال)[4] .

وعن النعمان بن بشير – رضي الله عنه– قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :– ((المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر))[5].

فهذه النصوص وغيرها تدل دلالة صريحة على أن وحدة الأمة فريضة شرعية ومقصد أولته الشريعة الإسلامية بالاهتمام والرعاية ؛ لأن بوجوده قوة الأمة ، وبعدمه العدم ، فالمصلحة ظاهرة بينة في الاهتمام به درءاً للمفاسد ، وفي ذلك يقول الأستاذ الدكتور طه جابر فياض العلواني في مقدمة كتابه ((أدب الاختلاف في الإسلام)) : ((إن كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – ما حرصا

(1) الأنبياء ، 92 .

(2) أل عمران ، 103 .

(3) رواه أحمد في مسنده ج5 ، ص380 ، ح رقم 379 ، قال صاحب الإكمال : أخرجه من طريق زكريا بن سلام عن أبيه عن رجل يقال له البغوي أنه انتهى إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو يقول : يا أيها الناس ....الحديث في سنده زكريا وهو مجهول .

(4) صحيح مسلم ،كتاب الأقضية ، باب النهي عن كثرة المسائل .

(5) أخرجه مسلم في صحيحه ،كتاب البر والصلة والآدب ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ، رقم الحديث 2584.

على شيء بعد التوحيد أكثر من حرصهما ، على تأكيد وحدة الأمة ونبذ الاختلاف بين أبنائها ومعالجة كل ما من شانه أن يعكر صفو العلاقة بين المسلمين أو يخدش أخوة المؤمنين)) [1] .

وقال الغزالي : ((قيل لأحد الشيوخ أدرك المصلين في المسجد ، يوشك أن يتقاتلوا ، قال : علام ؟ قيل له بعضهم يريد أن يصلي التراويح ثماني ركعات ، والبعض يريد صلاتها عشرين قال : ثم ماذا ؟ قال هم في انتظار فتواك ، قال : الفتوى أن يغلق المسجد فلا تصلى فيه تراويح البته ؛ لأنها لاتعدوا أن تكون نافلة ووحدة المسلمين فريضة ، ولا قامت نافلة تهدم الفريضة)) [2] فالناس اليوم تتغافل عن أولويات إذا قُدّم ما حقه التأخير حلت المفاسد واستبعدت المصالح ، فالمسلم عليه أن يوازن بين الفرائض والمندوبات ، وبين المحرمات والمكروهات ، فكل مرتبة من المراتب عليه أن يضعها في محلها فلا تقديم لمن رتبته متأخرة ولا تأخير لمن رتبته مقدمة .....وهكذا .

وقد جاءت الشريعة الإسلامية توضح ذلك ، ففي جانب العقيدة تتجلى الوحدة بين المسلمين في إيمانهم بإله واحد لا شريك له قال تعالى :- ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [3] .

وفي العبادة فإن العمل الواحد في حقيقته وصورته يختلف أجره اختلافاً كبيراً حين يؤديه الإنسان مع آخرين في جماعة ، فإن ركعتي الصبح أو ركعات الظهر تختلف عند أدائها منفرداً عنه في الجماعة ، فلقد ضاعف الإسلام أجرها بضعاً وعشرين مرة ، وهذا إغراء شديد بالانضواء إلى الجماعة ونبذ العزلة ودفع بالإنسان إلى الانسلاخ من وحدته والاندماج في أمته ، فالإسلام يكره للمسلم أن ينحصر في نطاق نفسه وأن يستوحش في تفكيره ، وأن ينأى بمصلحته عن مصلحة الجماعة وحياتها ، ولكي يمتزج المسلم بالمجتمع الذي يحيا فيه شرع الله الجماعة للصلوات اليومية ورغَّب في حضورها وفي تكثير الخطى إليها ، ثم ألزم أهل القرية الصغيرة أو الحي الآهل بالسكان أن يلتقوا كل أسبوع لصلاة الجمعة ، ثم دعا إلى اجتماع أكبر في صلاة العيد جعل مكانه الفضاء من الأرض خارج البلد ، وأمر الرجال والنساء ليعم النفع الجميع .

فالمسلمون يتجهون في صلاتهم إلى قبلة واحدة قال تعالى :- ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾[1] .

(1) ينظر : أدب الاختلاف في الإسلام الدكتور طه جابر فياض ، كتاب الأمة ص60 .

(2) الإمام الغزالي ، تحقيق وتقديم ، د- سليمان دمياط ، ص 112 .

(3) البقرة ، 163 .

ويتقدمون بإمام واحد يتبعونه فلا يسبقونه ولا يخالفونه ، وفي الزكاة المفروضة ما يدل على وحدة الأمة لتتعاون ماليا ، وفي ذلك يشير – صلى الله عليه وسلم – وهو يمدح جماعة من المسلمين فيقول : ((إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ، ثم اقتسموه فيما بينهم في إناء واحد بالسوية فهم مني وأنا منهم))[2] .

– وهم في الصيام يصومون جميعاً إذا رأوا هلال رمضان ويمسكون إذا طلع الفجر ، ويفطرون إذا رأوا هلال شوال ويخرجون لصلاة العيد في كل مكان يرددون نفس الكلمات : الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد ، ثم أذن إلى تحشيد أكبر ويجمع أكثر عدداً ليضم الشتات من المشرق إلى المغرب في فريضة الحج، فهم في الحج يلبون نداءً واحداً صدر إليهم في عهد أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام الذي أمره الله – تعالى– فقال :– وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِّيَشْهَدُواْ مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ اسْمَ اللّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ الْبَآئِسَ الْفَقِيرَ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾[3]

ويأتون في وقت واحد هو أشهر الحج ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ [4] .

يقفون على عرفات في وقت واحد ، ويفيضون منه وهم متحدون في النية والاتجاه والقصد والفعل والأماكن لقد جاءوا من شتى البقاع على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ما يجمعهم إلا الإسلام ، ودعوته التي تغدي العقيدة وتدعم مبدأ الأخوة بالعمل الموقظ للشعور والباعث على التدين الجامع بين المسلم وأخيه على مبدأ حق وهدف يسعى إليه الجميع ويتعاون الجميع لخير الجميع ، ولو أننا نظرنا إلى موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لوجدناه وسيلة من وسائل تآلف المسلمين وترابطهم ، حيث إن المسلم يشعر أخاه المسلم أنه لا يريد له الوقوع في المآثم والحرج ، إذ المآثم سبب لغضب الله – عز وجل – وبالتالي سبب لا نتشار الفاحشة بين المؤمنين قال – تعالى – : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[5].

---

(1) البقرة 150 .

(2) هذا الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الشركة ، باب الشركة في الطعام والنهد والعروض ، ح رقم 2486 عن أبي موسى الأشعري ، ومسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل الأشعريين .

(3) الحج ، 27-29 .

(4) البقرة ، 197 .

(5) آل عمران ، 110 .

وقال – جلا وعلا – : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1] .

وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يوصي في رحله وترحاله بالتجمع والاتحاد ، شديد التحذير من عواقب الاعتزال والفرقة ، فعن سعيد بن المسيب قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (الشيطان يهم بالواحد والاثنين ، فإذا كانوا ثلاثة لم يهم بهم)[2] .

وقد رأى في سفره أن القافلة عندما تستريح يتفرق أهلها في الشعاب والأودية فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – : (إن تفرقكم هذا من الشيطان فلم ينزلوا بعد إلا انضم بعضهم إلى بعض، حتى يقال لو بسط عليهم ثوب لعمهم) [3] ، ولذلك كان التطاحن المر من خصائص الجاهلية المظلمة وديدن من لا إيمان له .

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)[4].

يعني أن هذا العراك الدامي شأن الكافرين المنقسمين على أنفسهم أحزاباً متناحرة .

قال تعالى :- ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[5] .

– هديه – صلى الله عليه وسلم – في توحيد الأمة

1– المؤاخاة :-

لقد سلك – صلى الله عليه وسلم – في تدعيميه الوحدة بين المسلمين مسالك كثيرة لها أهميتها في تحقيق الوحدة وحمايتها من عوامل النزاع والشقاق والأنانية ومن أهمها :

تقرير الأخوة بين المسلمين وعقد الموالاة بينهم وبيان ما يتطلبه الإخاء من التناصر والتعاون .

---

(1) التوبة ،72 .

(2) أخرجه مالك في الموطأ كتاب الاستئذان ، باب ما جاء في الوحدة في السفر للرجال والنساء ج 2 ، ص 978 و قال بن عبدالبر: مرسل ، ووصله قاسم بن أصبغ من طريق عبدالرحمن بن أبي الزناد عن عبدالرحمن بن حرمله عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة .

(3) أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب الجهاد ج2 ، ص 126 ، وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

(4) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب العلم ، باب الإنصات إلى العلماء ، رقم الحديث 121 ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب قول النبي – صلى الله عليه وسلم – لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض رقم الحديث 118 .

(5) الحجرات ، 10 .

فالرسول – صلى الله عليه وسلم – عندما هاجر إلى المدينة وجد بين أهلها عداوة شديدة وحروب كثيرة فلما أكرمهم الله بالإسلام وآخى بينهم – صلى الله عليه وسلم – فتغير الحال ، فأصبحوا بنعمة الله إخواناً وقد قال أحد الذين بايعوا النبي – صلى الله عليه وسلم – من الأنصار عندما رأى من وراء كلمات النبي – صلى الله عليه وسلم – ما تهدف إليه دعوته من جمع للكلمة ووحدة للهدف وسعي إلى المودة والألفة فقال يا رسول الله :- ((والله لقد تركنا قومنا ولا من العرب بينه ما بينهم من العداوة فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك))[1] وقد كان ما توقعه هذا الرجل البصير الملهم إذ صارت العزة لله ولرسوله وللمؤمنين الذي آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه ، وأصبحوا بعد العداوة إخوانا متحابين بفضل الله متواصلين في ذات الله متعاونين على البر والتقوى ، وهدوا إلى الإيمان بعد الضلال وأغناهم الله بعد أن كانوا عالة ، ثم إن الرسول – صلى الله عليه وسلم – آخي بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، آخى بينهم على الحق والمواساة ، وعلى أن يتوارثوا فيما بينهم بعد الممات ، بحيث يكون أثر الأخوة الإسلامية في ذلك أقوى من أثر قرابة الرحم [2] ، ثم ربط النبي – صلى الله عليه وسلم – هذا التآخي بين أفراد الصحابة بنطاق عام من الأخوة والموالاة .

وقد قامت هذه الأخوة وكان التوارث فيما بينهم حتى نسخ حكم التوارث ورجع كل إنسان في ذلك إلى نسبه وذوي رحمه وأصبح المؤمنون كلهم أخوة .

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة : ذكر نعمته عليه بما أيده به من المؤمنين المهاجرين والأنصار فقال : ﴿ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾[3] ، أي جمعها على الإيمان بك وعلى طاعتك ومناصرتك ومؤازرتك [4] .

﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾[5] أي لما كان بينهم من العداوة والبغضاء ، فإن الأنصار كانت بينهم حروب كثيرة في الجاهلية وعداوة وبغض حتى قطع الله ذلك بنور الإيمان ،

(1) السيرة النبوية لابن هشام ج 2 ، ص 55 .
(2) المصدر نفسه ، 55/2 .
(3) الأنفال ، 63 .
(4) تفسير ابن كثير ج2 ، ص379 ، وما بعدها .
(5) الأنفال ، 63 .

كما قال- تعالى- : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[1] .

أخرج الطبراني – رحمه الله – عن سلمان الفارسي أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : ((إن المسلم إذا لقي أخاه فأخذ بيده تحاثت عنهما ذنوبهما كما تحاثت الورق عن الشجرة اليابسة [2] في يوم ريح عاصف ، إلا غفر الله لهما ذنوبهما ولو كانت مثل زبد البحار))[3] .

كما أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – لم يدع سببا من أسباب تدعيم الإخاء بين المؤمنين إلا وحث عليه وما ورد عنه في آداب المشي وآداب الحديث وآداب المعاملة والاجتماع خير شاهد على ذلك .

فقد جاء عنه – صلى الله عليه وسلم – فيض زاخر من الأحاديث في كل مجال من هذه المجالات مراعاة للمحبة والإخاء والتعاضد في كل المواطن ، وفي كل مجال من مجالات العمل المتعددة في البيت والشارع وفي السوق ، وحيث يلتقي مسلم بمسلم ، وعلى سبيل المثال فقد ورد قوله – صلى الله عليه وسلم – : ((إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس ، أجل إن ذلك يحزنه))[4] .

وأنه – صلى الله عليه وسلم – قضى على كل أسباب الخلاف والنزاع فقال : (لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخوانا ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ها هنا ، ويشير إلى صدره ثلاث مرات ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه ، المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه)[5] .

---

(1) آل عمران ، 103 .

(2) أي أن المتساقط من أغصانه عند جفافه يكون كثيراً .

(3) المعجم الكبير للطبراني ج6 ، ص256، معجع الزوائد ج8 ، ص 37 ، وقال الهيثمي رواه الطبراني عن سالم بن غيلان وهو ثقة ، ينظر الترغيب والترهيب ج3 ، ص271 ، وقال الحافظ المنذري رواه الطبراني بإسناد صحيح .

(4) صحيح البخاري ، كتاب الاستئذان ، باب إذا كانوا أكثر من ثلاث ، رقم 6290 عن ابن عمر .

(5) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة ، باب تحريم الظن ح 2563.

وعنه – صلى الله عليه وسلم – قال : (لن تؤمنوا حتى تحابوا ، أو لا أدلكم على ما تحابون عليه ؟ افشوا السلام بينكم ، والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تراحموا قالوا : يا رسول الله كلنا رحيم ؟ قال إنه ليس برحمة أحدكم خاصة ، ولكن رحمة العامة رحمة العامة)[1] .

وعن أبي موسى الأشعري عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ثم شبك بين أصابعه)[2] .

وسوف يتحدث الباحث عن صورة من تلك الصور التي تبين مدى أهمية المؤاخاة في خُلُقِ الوحدة بين المسلمين ، وكيف كان لها أكبر الأثر في ذلك ، فقد بث الإسلام روح المحبة والتآلف والترابط والإيثار بين المجتمع المسلم في كل الأوقات في الأمن والسلام ، وفي الحروب والشدة فصاروا يقدمون حاجة المحاويج على حاجة أنفسهم ويبدون بالناس قبلهم في حالة احتياجهم إلى ذلك ، وهذا المقام أعلى من حال الذين وصفهم الله بقوله تعالى :- ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ ﴾(3) ، وقوله : ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ﴾[4].

فإن هؤلاء تصدقوا وهم يحبون ما تصدقوا به ، وقد لا يكون لهم حاجة إليه ولا ضرورة له ، وهؤلاء آثروا على أنفسهم مع خصاصتهم إلى ما أنفقوه والفرق كبير ، ومن هنا تصدق الصِدِيقُ – رضي الله عنه – بجميع ماله ، فقال له رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : ((ما أبقيت لأهلك ؟ ، فقال رضي الله عنه : أبقيت لهم الله ورسوله))[5].

وروى البخاري عن أبي هريرة – رضي الله عنه – : ((أن رجلا أتي النبي – صلى الله عليه وسلم – فبعث إلى نسائه ، فقلن : ما معنا إلا الماء ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : ((من يضم – أو يضيف هذا ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا ، فانطلق به إلى امرأته فقال : أكرمي ضيف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقالت : ما عندنا إلا قوت صبياني ، فقال : هيئ طعامك ، وأصبحي سراجك ، ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء ، فهيأت طعامها ، وأصبحت سراجها ، ونومت صبيانها ،

(1) أخرجه الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك عن أبي موسى ج4 ، ص185 وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي .

(2) أخرجه البخاري ، كتاب الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم ، رقم الحديث 6011 .

(3) الإنسان ، 8 .

(4) البقرة ، 177 .

(5) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب مناقب أبي بكر ح رقم 3921 عن عمر بن الخطاب وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، والحاكم في المستدرك ج1 ، ص574 وقال صحيح على شرط مسلم .

ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته ، فجعلا يريانه أنهما يأكلان ، فباتا طاويين ، فلما أصبح غذا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال : ضحك الله الليلة – أو عجب – من فعالكما) [1] .

فأنزل الله : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2].

وهذه قصة أخرى عن هؤلاء الرجال الذين يحملون في قلوبهم الرحمة والشفقة لإخوانهم المسلمين ، وهي قصة الماء الذي عرض على عكرمة وأصحابه يوم اليرموك فكل منهم يأمر بوضعه إلى صاحبه وهو جريح مثقل أحوج ما يكون إلى الماء ، فرده الآخر إلى الثالث ، فما وصل الثالث حتى ماتوا عن آخرهم ، ولم يأثر به أحد منهم لنفسه – رضي الله عنهم وأرضاهم – [3] .

(1) أخرجه البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب قوله – تعالى- ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ حديث 3798 .

(2) الحشر ، 9 .

(3) تفسير بن كثير ج4 ، ص27 ،

المبحث الثالث : بناء أوصار الوحدة من خلال هدى النبي – صلى الله عليه وسلم –

علمنا مما سبق أنه عندما انتقل الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى المدينة المنورة كان جل اهتمامه هو المؤاخاة بين الأوس والخزرج ، حيث أزال ما بينهم من غل وحقد وصرعات قبلية وتفاخر بالأنساب والأمجاد وحل محلها الغيرة على دين الله والتمسك به والحب في الله والتآخي ونبذ الخلافات والعدوات ونشر الحب والوئام ، ولكن ذلك لم يكن محل استحسان من اليهود أعداء الإسلام ، فكانوا يعملون على إحياء جذور الفرقة والصراع بين الأنصار للعمل على تفكيك وحدة المسلمين ، ومن ذلك ما رواه ابن إسحاق حيث قال : – ((مر شاس بن قيس وكان شيخا قد عسا [1] ، عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين ، عظيمم الحسد لهم على نفر من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه ، فغاظه ما رأى من ألفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام ، بعد أن كان ما كان بينهم من خلاف ، فأمر فتى شابا من اليهود كان معهم ، فقال : أعمد إليهم ، فاجلس معهم ، ثم اذكر يوم بعاث وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار يوم بعاث))[2].

فأنزل الله تعالى في شاس بن قيس وما صنع : ﴿ قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلى ما تَعْمَلُونَ قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَها عِوَجاً وَأَنْتُمْ شُهَداءُ وَمَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[3] ، فلولا تدخل الرسول – صلى الله عليه وسلم– في الوقت المناسب لأشتعلت الفتنة ولعظمت.

وفي غزوة بني المصطلق لما تشاجر رجل من الأنصار مع رجل من المهاجرين فكسع [4] أحدهما الآخر وصاح كل منهما بعشيرته وحاول زعيم المنافقين عبدالله بن أبي إشعال نار الفتنة ، فقال والله ما مثلنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك ، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، ثم أقبل على من عنده وقال :((هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وأسكنتموهم دياركم وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو كففتم عنهم لتحولوا من بلادكم إلى غيرها)، غير أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – استطاع أن يقضي على الفتنة في مهدها وأن يعود بالمسلمين إلى ما ينبغي أن يكونوا عليه من الاتحاد والقوة

(1) عسا الشيخ ، أي كبر

(2) سيرة بن هشام ، ج2 ، ص147 وما بعدها .

(3) آل عمران ،98 – 99 .

(4) أي ضرب دبره بيده – النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ،150/4 .

والمنعة ، وأن يبقي عليهم كما وصفهم في قوله – صلى الله عليه وسلم – (المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم))[1] ، فالمتربصون بالمسلمين والإسلام موجودون دائماً، قديماً وحديثاً إلا أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – يرد المسلمين إلى المنهج الصحيح ، فعن جابر بن عبدالله قال : كنا في غزوة فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فقال الأنصار: يا للأنصار وقال المهاجرون يا للمهاجرين فسمعها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : ما هذا ؟ فقالوا : كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار ، فقال الأنصاري :يا للأنصار وقال المهاجري يا للمهاجرين ، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم :- ((دعوها فإنها فتنة)) [2] .

قال جابر وكانت الأنصار حين قدم النبي – صلى الله عليه وسلم – أكثر ثم كثر المهاجرون بعد ذلك ، فقال عبدالله بن أبي : أوقد فعلوا ؟

والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فقال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – ((دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه))[3] .

– خلقه في بناء وحدة المسلمين .

لقد كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – شديد الحرص على خلق روح الوحدة بين المسلمين كلما وجد إلى ذلك سبيلا ، وذلك حرصا منه على وحدة المسلمين وتماسكهم حتى في أكثر المواقف حرجاً ، ومن ذلك ما حدث في غزوة بدر الكبرى عندما قدم رسول – صلى الله عليه وسلم – الصفراء وهي قرية بين جبلين فسأل عن جبليها ما أسماؤهما ؟ فقالوا : يقال لأحدهما مسلح وللآخر مغري ، وسأل عن أهلها فقيل بنو النار حراق بطنان من غفار.

فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش ، فقام أبوبكر الصديق فقال وأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال وأحسن ، فقال له رسول الله – صلى الله عليه وسلم – خيراً ودعا له ، ثم قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : ((أشيروا عليّ أيها الناس)) وإنما يريد الأنصار فلما قال ذلك رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال : أجل ، قال : فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على

(1) أخرجه أبو داود ،كتاب الديات ، باب أيقاد المسلم بالكافر ؟، رقم ((4530)).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير ، باب قوله تعالى :- ((يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل)) رقم الحديث 4907 .

(3) أخرجه البخاري ،كتاب التفسير ، باب قوله تعالى ﴿ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ ﴾.

السمع والطاعة لك ، فامض يا رسول الله لما أردت ، فنحن معك ، فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، إنا لصبر في الحروب ، صدق عند اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر على بركة الله ، قال فسر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بقول سعد ثم قال : ((سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم هكذا)) [1] .

ففي مشورته – صلى الله عليه وسلم – لقادة المهاجرين ثم أخذه رأي الأنصار برهان قاطع على تنمية الترابط والوحدة بين الصف المسلم ، وفي غزوة تبوك خرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وتخلف أقوام من أصحابه رضي الله عنهم بسبب عدم وجود شيء يركبون عليه ، إلا أن رسول – صلى الله عليه وسلم – حرص على خلق روح الوحدة بين المسلمين ببيان أن هؤلاء الذين تخلفوا إنما حبسهم العذر ، وأكد أنهم كانوا معهم في كل خطوة يخطونها ، يشعرون ويحسون بإحساسهم .

فعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة فقال : ((إن أقواماً بالمدينة خلفنا ما سلكنا شعباً ولا وادياً إلا وهم معنا فيه حبسهم العذر))[2] .

وعند أبي داود ((لقد تركتم بالمدينة أقواما ما سرتم من سير ولا أنفقتم من نفقة ولا قطعتم من واد إلا وهم معكم فيه ، قالوا يا رسول الله وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة ؟، قال: حبسهم العذر))[3] .

قال المهلب : يشهد لهذا الحديث قوله – تعالى –: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ ﴾[4]

فإنه فاضل بين المجاهدين والقاعدين ثم استثنى أولى الضرر من القاعدين ، فكأنه ألحقهم بالفاضلين، وفيه أن المرء يبلغ بنيته أجر العامل إذا منعه العذر عن العمل ، ويدل على هذا حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : (نية المرء خير من عمله)[5] .

---

(1) سيرة ابن هاشم ،ص165 .

(2) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب من حبسه العذر عن الغزو ، ح رقم 2839 .

(3) سنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، باب الرخصة في القعود من الغزو ،ح رقم 2505 ، وابن ماجه في سننه ، كتاب الجهاد ، باب من حبسه العذر عن الجهاد ج2 ، ص 922 .

(4) النساء ، 95 .

(5) شعب الإيمان للبيهقي ج5 ، ص343 ، ومعجم الطبراني ج6 ص185 عن سهل بن سعد ، وقال الهيثمي في المجمع : رجاله موثقون إلا حاتم بن دينار الجرشي لم أر من ذكر له ترجمة .

المبحث الرابع : إلغاؤه – صلى الله عليه وسلم – التمايز بين أفراد الأمة

لقد عالج – صلى الله عليه وسلم – بالقرآن أدواء البشرية بأنجح دواء وقضى به على التمايز بين الناس بالأحساب والأنساب ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[1] .

وحينما جاء أهل مكة وسادتها وقالوا له ما ينبغي لصعاليك مكة أن يجلسوا منا بمنزلة الأنداد والقرناء فقرأ عليهم قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾[2] .

فكان من هديه – صلى الله عليه وسلم – في توحيد الأمة حرصه الشديد على إزالة الفواصل والفروق بين المسلمين ، فهم كل لا يتجزأ سواسية كأسنان المشط ، فلا فرق بين عربي ولا أعجمي ولا بين غني وفقير ولا عبد وسيد ولا أبيض وأسود ، فالكل في الإسلام سواء أمام الله – تعالى– ولا يفضل رجل رجلا إلا بالعمل الصالح ، وكان من أهم آثار إلغاء الفواصل في الإسلام غرس بذور التوحيد والتماسك بين المسلمين ، وإلغاء كل الحواجز التي قد تضعف من توحد الأمة وإزالة العصبية القبلية ليحل محلها العصبية لدين الله – تعالى – فقال – صلى الله عليه وسلم – : (كلكم بنو آدم ، وآدم خلق من تراب ولينتهين قوم يفخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله – تعالى – من الجعلان)[3] .

وقال تعالى :- ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾[4] .

وقال تعالى :- ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[5] .

وفي الصحيح (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمة)[6] .

---

(1) الحجرات ، 13 .

(2) الكهف، 28 ، 29 .

(3) سبق تخريجه ،ص2 .

(4) الحشر ، 10 .

(5) الحجرات ، 1 .

(6) أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم ، رقم الحديث 6011 .

ومن مقومات التضامن أيضاً بين المسلمين العمل على بث روح المحبة والتعاون البناء بينهم وإبعاد كل ما من شأنه أن يبعث الشقاق والفرقة وإيجاد العداوة بينهم وذلك عن طريق :-

*الأمر بإصلاح ذات البين :- وهذه من أهم الوسائل التي تجمع بين قلوب المسلمين لتوحيد صفوفهم وإنهاء ما بينهم من عداوة وأحقاد قال تعالى :- ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[1] ، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية :- ((أي فاتقوا الله في أموركم وأصلحوا فيما بينكم ولا تظالموا ولا تخاصموا ولا تشاجروا فما آتاكم الله من الهدى والعلم خير مما تختصمون بسببه))[2] .

ولنذكر ها هنا حديثا أورده الحافظ أبو يعلى أحمد بن على بن المثنى الموصلي – رحمة الله عليه – في مسنده عن سعيد ، عن أنس — رضي الله عنه — بينما رسول الله — صلى الله عليه وسلم — جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر : ما أضحكك يا رسول الله بأبي أنت وأمي ؟ فقال : – ((رجلان من أمتى جثيا بين يدي رب العزة – تبارك وتعالى – فقال أحدهما : يا رب خذ لي مظلمتي من أخي ، قال الله — تعالى– أعطي أخاك مظلمته قال : ففاضت عينا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بالبكاء ثم قال : إن ذلك ليوم عظيم ، يوم يحتاج الناس إلى من يتحمل عنهم من أوزارهم ، فقال الله — تعالى– للطالب ارفع بصرك وانظر في الجنان ، فرفع رأسه ، فقال : يا رب أرى مدائن من فضة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لأي نبي هذا ؟ لأي صديق هذا ؟ لأي شهيد هذا ؟ قال هذا لمن أعطى ثمنه ، قال يارب : ومن يملك ثمنه ؟ قال : أنت تملكه قال : ماذا يا رب ؟ قال : تعفوا عن أخيك ، قال يا رب : فإني قد عفوت عنه ، قال الله — تعالى– : خذ بيد أخيك فادخلا الجنة ، ثم قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ، فإن الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة))[3] .

وروى أبو داود عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم – : ((ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ، قالوا بلى يا رسول الله : فقال : إصلاح ذات البين ، وفساد ذات

(1) الأنفال ، 1 .

(2) تفسير ابن كثير ، 334/2 .

(3) أخرجه الحاكم في المستدرك ، وقال صحيح الإسناد ، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب ج3 ، ص211 ، وقال : رواه الحاكم من طريق سعيد بن أنس عن أنس وقال الحاكم : صحيح الإسناد .

البين الحالقة))[1] ففي هذا الحديث حث وترغيب في إصلاح ذات البين واجتناب عن الإفساد فيها ؛ لأن الإصلاح يسبب الاعتصام بحبل الله وعدم التفرق بين المسلمين ، وفساد ذات البين خرق في الأمة ، فمن تعاطى إصلاحها ورفع فسادها نال درجة فوق ما يناله الصائم القائم المشتغل بخويصة نفسه . وعنه – صلى الله عليه وسلم – قال : (إياكم وسوء ذات البين فإنها الحالقة)[2] .

ولأهمية الإصلاح بين المؤمنين رخص الرسول – صلى الله عليه وسلم – في الكذب للساعي في الإصلاح ولا إثم عليه إذا كان بقصد الإصلاح ، فعن أم كلثوم بنت عقبة أنها سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول : ((ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً)) ، وعنها أيضاً أنها قالت ((ما سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاثة ، كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول لا أعده كاذباً : الرجل يصلح بين الناس يقول القول ولا يريد به إلا الإصلاح ، والرجل يقول في الحرب ، والرجل يحدث امرأته ، والمرأة تحدث زوجها))[3] .

وهكذا فقد وردت آيات وآثار كثيرة تدعوا المؤمنين إلى إصلاح ذات البين وأنه فريضة مثل الصلاة والصيام قال تعالى :- ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[4] .

وقال تعالى :- ﴿ وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما ﴾[5] ، وقال تعالى :- ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[6] .

(1) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأدب ، باب في إصلاح ذات البين ، حديث رقم 4919 ، قال المنذري : وأخرجه الترمذي ، وقال : صحيح ، وقال أيضا : ويروى عنه – صلى الله عليه سلم – أنه قال : هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين.

(2) اخرجه الترمذي في سننه ، كتاب صفة القيامة ، ج 4 ، ص 663 ح : 2509 وقال أبو عيسى : حديث صحيح غريب من هذا الوجه .

(3) صحيح البخاري ، كتاب الصلح ، باب ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس ، ح رقم : 2692 .

(4) النساء ، 114 .

(5) الحجرات ،9 .

(6) الحجرات ، 10 .

ولم يتركنا الله – سبحانه وتعالى – بهذا الأمر وحده وإنما أضاف النهي عن غيره فقال تعالى :-﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[1] ، فبعد أن أمرهم الله – تعالى- بإصلاح ذات بينهم نهاهم عن التنازع والشقاق والاختلاف فيما بينهم ، فيكون ذلك سبباً لتخاذلهم وفشلهم وضعف قوتهم ووحدتهم ، وجاء عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أحاديث كثيرة في تحريم الهجر بين المسلمين ، فعن أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : ((لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالي يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام))[2] .

وعن أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال :- ((ما من يوم اثنين ولا خميس إلا يرفع الله فيه الأعمال إلا المتهاجرين)) [3] .

ومن ذلك أيضاً نهيه – صلى الله عليه وسلم – عن تتبع عورات المسلمين وتصيد زلاتهم ، فعن ابن عباس – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : (من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة ، ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته)[4] .

وعن عقبة بن عامر أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (من ستر على مؤمن عورة فكأنما أحيا موؤدة من قبرها)[5] .

تحذيره- صلى الله عليه وسلم – من الفرقة

(1) الأنفال ، 46 .

(2) أخرجه الإمام مسلم ،كتاب البر والصلة والأدب ، باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر ، رقم الحديث :2560 .

(3) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير ، وقال الهيثمي في المجمع ج8 ، ص67 ، رواه الطبراني ، وفيه عبدالله بن عبدالعزيز الليثي وثقة بن حبان وضعفه غيره .

(4) ابن ماجه في سننه ج2 ، ص850 كتاب الحدود ، باب الستر على المؤمن ودفع الحدود بالشبهات ، رقم الحديث ((2546)) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد في إسناده محمد بن عثمان بن صفوان الجحمي ، قال فيه أبوحاتم : منكر الحديث ، ضعيف الحديث ، وقال الدارقطني : ليس بقوي وذكره بن حبان في الثقات وباقي رجال الإسناد ثقات

(5) صحيح بن حبان ج2 ، ص247-275 ، وقال الهيثمي في المجمع ج6 ، ص 247 : رواه الطبراني في الأوسط وفيه طلحة بن زيد وهو ضعيف ورواه بإسناد غيره وفيه معشر أخف ضعفاً من طلحة وبقية رجاله رجال الصحيح .

قال تعالى :- ﴿ وَأَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[1] .

فعن ابن عباس في قوله – تعالى- : ﴿ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ ﴾ قال : أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والتفرق وأخبرهم أنه إنما أهلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله [2] .

وعن ابن عمر قال : خطبنا عمر بالجابية فقال ((يا أيها الناس : إني قمت فيكم كمقام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فينا ، فقال : أوصيكم بأصحابي ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يفشوا الكذب حتى يحلف الرجل ولا يستحلف ، ويشهد الشاهد ولا يستشهد ، ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان ، عليكم بالجماعة ، وإياكم والفرقة ، فإن الشيطان مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعد ، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة ، من سرته حسنة وساءته سيئة فذلكم المؤمن))[3] .

كما يرشد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى أن الله – تعالى – لا يجمع أمته على ضلالة ، ففي الاجتماع والوحدة عصمة لهم من الخطأ .

فعن ابن عمر – رضي الله عنهما – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: ((إن الله لا يجمع أمتي ، أو قال أمة محمد على ضلالة ، ويد الله على الجماعة ، ومن شذ شذ إلى النار) [4] .

وقوله: ((من شذ شذ إلى النار)) أي من انفرد عن الجماعة باعتقاد أو قول أو فعل لم يكونوا عليه ((شذ إلى النار) أي انفرد فيها ، ومعناه انفرد عن أصحابه الذين هم أهل الجنة وألقي في النار))[5] .

وعن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : ((يد الله مع الجماعة))[6] ، أي أن الجماعة المتفقة من أهل الإسلام في كنف الله ، ووقايته فوقهم ، وهم بعيدون عن الأذى والخوف ، فأقيموا بين ظهرانيهم .

---

(1) الانعام ، 153.

(2) تفسير ابن كثير ج2 ، ص181 .

(3) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب الفتن ، باب لزوم الجماعة ، حديث رقم : 2254 ، وقال حسن صحيح (بحبوحة الجنة) بضم الموحدتين أي من أراد أن يسكن وسطها .

(4) سنن الترمذي ، كتاب الفتن ، باب لزوم الجماعة ، حديث : 2255 وقال هذا حديث غريب .

(5) تحفة الاحوذي بشرح جامع الترمذي ، أبواب الفتن ، باب في لزوم الجماعة ص 322 .

(6) سنن الترمذي ، كتاب الفتن ، باب في لزوم الجماعة ، حديث 2166 وقال حسن غريب .

وروى الإمام البخاري بسنده عن حذيفة بن اليمان – رضي الله عنه – قال : ((كان الناس يسألون رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت : يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : نعم ، قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال نعم وفيه دخن ، قلت : وما دخنه ؟ قال : قوم يهدون بغير هدى ، تعرف منهم وتنكر قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : نعم ، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها ، قلت : يا رسول الله صفهم لنا ، قال : هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ، فقلت : فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟ قال : تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ، قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال : فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك))[1] .

ومعنى (لو أن تعض) كما قال البيضاوي : إذا لم يكن في الأرض خليفة فعليك بالعزلة والصبر على تحمل شدة الزمان وعض أصل الشجرة كناية عن مكابدة المشقة ، كقولهم فلان يعض الحجارة من شدة الألم[2].

وفي الحديث فوائد منها :-

1- أنه حجة لجماعة الفقهاء في وجوب لزوم جماعة المسلمين وترك الخروج على أئمة الجور ؛ لأنه وصف الطائفة الأخيرة بأنهم – دعاة على أبواب جهنم ولم يقل فيهم : ((تعرف وتنكر)) كما قال في الأولين ، وهم لا يكونون كذلك إلا وهم على غير حق ، وأمر مع ذلك بلزوم الجماعة [3] .

2- أنه حتى لو لم يكن للناس إمام فافترق الناس أحزاباً فلا يتبع أحد أحداً في الفرقة ، ويعتزل الجميع إن استطاع ذلك خشية من الوقوع في الشر [4] .

وقد بلغ من شدة حرص الرسول – صلى الله عليه وسلم- على توحيد الصف والبعد عن التفرق والشتات أن أمرهم – صلى الله عليه وسلم – بتسوية الصفوف في الصلاة ، ونهاهم عن الاختلاف

(1) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج3 ، ص40 ، كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة حديث 7084 .
(2) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ، ج 3 ص 40 .
(3) المصدر السابق.
(4) فتح الباري ، ج3، ص41 .

فيها ، فعن البراء بن عازب – رضي الله عنه – قال : ((كان رسول الله – صلى اله عليه وسلم – يمسح مكاننا في الصلاة ويقول لا تختلفوا فتختلف قلوبكم ، ليليني منكم أولو الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم))[1] .

فلو أن المسلمين تمسكوا بهذه المعاني وعملوا بها في حياتهم وطبقوها في سلوكهم ، لسادة المحبة بين المجتمع الإسلامي وانتشرت الفضيلة بين أفراده ، ولزالت الرذيلة من بينهم ، ولعادت للأمة هيبتها ومكانتها بين الأمم فهي خير أمة أخرجت للناس .

(1) أخرجه مسلم ،كتاب الصلاة ، باب تسوية الصفوف ، رقم الحديث : (432) .

الخاتمة

وبهذا الذي قلناه انهي هذا البحث المتواضع بما توصلت إليه من نتائج على النحو التالي :-

1- إن الوحدة بين المسلمين درس يمليه الماضي ، ونداء يردده الحاضر ويدعو إليه المستقبل ، وأن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لم يدع سببا من أسباب تحقيق الوحدة بين المسلمين وتدعيم الإخاء بينهم إلا وحث عليه ، وإن العامل الرئيسي الذي جمع المسلمين وأصلح ذات بينهم ووحد كلمتهم هو الدين ، ولكي ترجع للأمة الإسلامية والعربية هيبتها وكرامتها ومكانتها بين الأمم فلابد من الاتحاد والتضامن ، ولن يكون ذلك إلا بالاعتصام بحبل الله – تعالى- جميعاً ، والاعتصام بحبل الله معناه العودة إلى القرآن والسنة والعمل بما أمر الله – تعالى – به ، وما أمر به رسوله – صلى الله عليه وسلم –.

قال تعالى :- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾(1) .

ومظاهر هذا الضعف واضحة ، فالمسلمون الآن لا يستطيعون حماية مقدساتهم واسترجاعها ، ولا يملكون التأثير على العالم وفرض آرائهم على الأمم .

2- تفكك المجتمع وفتور العلاقة بين المسلم وأخيه :- بل ربما تجاوز الحد ذلك وتحولت العلاقة بين الشعوب الإسلامية في مختلف الدول وبين الشعب الواحد أيضاً إلى علاقة تسودها الكراهية وسوء الظن

3- تأخر المسلمين عن غيرهم من الأمم : سببه الفرقة وعدم التأمل والتفكر في الكون كما أمرهم ربهم بينما نظر غير المسلمين في الكون وتأملوا فتعاملوا وأحسنوا العمل ، بينما المسلمون قعدوا عن العلم والعمل وشغلهم عن ذلك الخلافات المستمرة بينهم ، ولقد أخذ العالم انطباعاً سيئاً عن المسلمين وبالتالي عن الإسلام ، مما أدى إلى ضعف الدعوة الإسلامية في الخارج ، فكيف يدعو المسلمون العالم إلى الوحدة والإخاء من خلال دينهم وهم متفرقون متناحرون .

4- من خلال تتبع النصوص الداعية إلى الوحدة ووفق مقتضيات أحوال المسلمين اليوم التي تقتضي قيام الوحدة الإسلامية وإن اختلفت بلدانها ونظام حكمها ؛ لأنه من العسير أن تنتظر في الوقت القريب وحدة الأمة تحت نظام واحد ، فيكتفى بتطبيق الشريعة الإسلامية في كل بلد وإن اختلفت مشاربها إلى أن تنضج وينمو مفهوم عقيدة الوحدة الإسلامية في قلب كل مسلم ويأذن الله بذلك .

(1) النساء 59 .

تبث المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم ، برواية حفص عن عاصم .

1- أدب الاختلاف في الإسلام ، د- طه جابر فياضي ،كتاب الأمة .

2 - الإمام الغزالي ، سليمان دمياط ، دار المعارف – القاهرة .

3- تحفة الأحوذي ، شرح صحيح الترمذي ، محمد المباركفورى ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

4- الترغيب والترهيب للمنذري ، مكتبة الدعوة .

5- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .، ط2- 1417م .

6- حديث في البناء الجديد ، مالك بن نبي ، جمع وترجمة للمؤلف عمر كامل مسقاوي ، المكتبة العصرية ، بيروت .

7- حقائق عن الفكر الإسلامي ، د- محمد عبداللطيف الفرفور ، دار المكتبي ، ط،1423هـ ، 2002م ، سوريا – دمشق .

8- سنن ابن ماجة ، دار الفكر ، بيروت – لبنان .

9- سنن أبي داود ، دار الفكر ، بيروت – لبنان .

10- سنن الترمذي ، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي .

11- السيرة النبوية ، لابن كثير ، الدار المصرية اللبنانية .

12- السيرة النبوية ، لابن هشام ، المكتب الثقافي ، القاهرة .

13- شروط النهضة ، مالك بن نبي ، ترجمة عمر كامل مسقاوي وعبدالصبور وشاهين ، مكتبة دار العروبة، مطبعة دار الجهاد ، القاهرة ، ط1، 1957م .

14- شعب الإيمان ، للبيهقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1- 1410هـ .

15- صحيح البخاري ، للإمام البخاري ، دار السلام ،الرياضي ، ط1 ،1417م .

16- صحيح مسلم ، للإمام مسلم ، دار إحياء التراث العربي –بيروت .

17- عبدالرحمن الكواكبي ، عباس العقاد ، دار الكتاب العربي – بيروت ، 1969م.

18- العقد الحضاري في شريعة القرآن ، د- الهادي الدرقاش ، دار قتيبة ، ط1 ، 1908 هـ ، 1989م .

19- فتح الباري ، لابن حجر العسقلاني ، دار المعرفة ، بيروت- لبنان .

20- القاموس المحيط للفيروز آبادي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان .
21- المستدرك للحاكم ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1911هـ 1990م .
22- مسند أحمد ، للإمام أجمد بن حنبل ، مؤسسة قرطبة ، مصر .
23- معجع الزوائد ، لابن حجر الهيثمي ، دار الفكر ، بيروت لبنان ، ط1 ،1412هـ 1912م.
24- معجم ألفاظ القرآن ، إصدار مجمع اللغة العربية ، القاهرة .
25- الموطأ للإمام مالك بن أنس ، دار إحياء التراث العربي – بيروت لبنان – 1406هـ .